



تَنْبُتُ “ in Light of Lexical Dictionaries and Exegesis بِالدَّهْنِ

Sayyed Haydar Fare Shirazi 1, Sajad Arabi *2, Mohsen Khodami3

1. Associate Professor of Arabic Language and Literature, Persian Gulf University, Bushehr, Iran
shirazi@pgu.ac.ir
2. Assistant Professor of Arabic Language and Literature, University of Birjand, Birjand, Iran
3. Assistant Professor of Arabic Language and Literature, Farhangian University of Shiraz - Shiraz, Iran

Abstract

This study re-examines the Qur'anic phrase "tanbutu bi ad-dahn" (verse 20 of Surah Al-Mu'minin), challenging the conventional translation unanimously upheld by traditional exegetes, which reads "it grows with oil" or "it produces oil." The alternative hypothesis posits that the preposition "bi" functions instrumentally and causally, rather than indicating mere accompaniment or transitivity. Moreover, the noun "ad-dahn" carries a forgotten archaic meaning of "light rain" or "slight moisture" sufficient to dampen the earth's surface, implicitly suggesting a mountain depression where water naturally collects. Employing a descriptive-analytical methodology, the study traces the semantic evolution of "dahn" in authoritative classical dictionaries (such as Kitab al-'Ayn and Lisan al-'Arab) and systematically surveys exegetical works from al-Tabari, al-Razi, and Ibn Kathir up to contemporary scholars. This comprehensive review reveals that past commentators fixated on the tangible yield (olive oil) while completely neglecting the precise naturalistic layer embedded in the phrasing. Morphological and syntactic analysis confirms that the "light rain" denotation is contextually and linguistically valid. Therefore, the study concludes the phrase should be accurately translated as "it grows by virtue of a little water" or "it grows due to light drizzle." This fresh interpretation perfectly aligns with the botanical reality that olive trees flourish in arid climates with minimal rainfall, often rooted in rocky hollows on mountain slopes. Consequently, God's intended message appears to highlight the tree's astonishing ability to thrive on scant water, serving as a profound sign of divine power and wisdom in creation. This investigation not only refines our understanding of this specific verse but also opens the door for reconsidering other classical interpretations that may have similarly dismissed subtle environmental indications. By introducing this hydrological and ecological dimension, the study offers a significant contribution to Qur'anic scholarship, uncovering a lost linguistic nuance and revealing a new aspect of both rhetorical and scientific inimitability entirely overlooked by previous commentators.

Keywords: Signification, Qur'anic Exegesis, Surah Al-Mu'minin, TANBUTU BI AD-DAHN .

التحليل التأصيلي والمعنوي لعبارة «تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ» في ضوء التفاسير والمعاجم اللغوية

سيد حيدر فرع شيرازي*^١، سجاد عربي^٢، محسن خدامي^٣

١. أستاذ مشارك في اللغة العربية وآدابها، جامعة خلیج فارس، بوشهر، إيران

shirazi@pgu.ac.ir

٢. أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة بيرجند، بیرجند، ایران

٣. أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة فرهنگیان شیراز - شیراز، ایران

الملخص

« تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ » جزء من آية العشرين في سورة المؤمنون الذي اختلف العلماء في تبين بعض من جوانبها المختلفة منها نوع الباء في تنبت ولزوم الفعل أو تعديته إلا أنه لا يختلفون في ترجمتها حيث يرون أنَّ القصد من وراء العبارة هو أنَّ شجرة الزيتون تنمو وفيها الزيت وصبغٌ لآكلين ورغم ذلك يبدو أنهم تجاهلوا أحد الجوانب المحتملة في العبارة تُرجع إلى نوع الباء وترجمة كلمة الدهن التي قد يكون بمعنى القليل من المطر، كما تُرجع إلى ترجمة العبارة كلياً حيث يبدو أنه يقصد بالعبارة هو أنَّ شجرة الزيتون المليئة بالفوائد الكثيرة للإنسان تنمو بواسطة الماء القليل من المطر. علاوة على ذلك، يبدو فيها إشارة ضمنية إلى نقرة في الجبل يستنقع فيها الماء. فبناءً على هذا الأمر، تنطلق الدراسة من هذه الفرضية أنَّ هناك تفسير وترجمة أخرى للعبارة لم تذكر في التفاسير السابقة حتى الآن وُتُرك على حالها وهو فرض معنى الماء القليل من المطر والنقرة في الجبل إلى جانب نوع الباء في «بالدهن» واعتباره باء الآلة. نسعى من خلال الورقة إلى دراسة هذه العبارة تفسيرياً ونحوياً ودلالياً وعرض جوانبها المختلفة وفق المنهج التحليلي - الوصفي؛ حيث يُتطرق إلى شرح معاني كلمات العبارة وتفسيرها دلاليًا من البداية حتى الآن ويقام بدراسة العبارة وفق الفرضية المذكورة حتى نصل إلى ترجمتها المطلوبة من خلال مسح الكتب التفسيرية. خلصت الدراسة إلى أنَّه يمكن أن تكون الباء في عبارة «تنبت بالدهن» من نوع باء الآلة خلافاً مع آراء المفسرين اللذين يرونها للتعدية أو الزائدة، كما يمكن أن يكون معنى الدهن هو قدر ما يبل وجه الأرض بما فيها إشارة ضمنية إلى نقرة في الجبل فيعني العبارة جملةً أنَّ شجرة الزيتون بطبيعتها ينمو بواسطة الماء القليل بينما مليئة بالموارد والفوائد الكثيرة للبشر لذلك يريد الله أن يقول إنَّ نمو هذه الشجرة هو علامة أخرى على قوة الله والإعجاز في خلقها وعلامات على التفكير في مخلوقات الله في هذه الشجرة التي تنمو بقدر قليل من الماء؛ الأمر الذي يبدو تجاهله عند المفسرين والمترجمين.

الكلمات المفتاحية: الدلالة، تفسير القرآن، سورة مؤمنون، تنبت بالدهن.

المقدمة وإشكالية البحث

تعتبر سورة المؤمنون من السور المكية وتشكل من ١١٨ آية أكثرها في أوصاف المؤمنين المنتجة كما طُرحت فيها أبحاث عن المعتقدات والأعمال التي تأتي في إتمام هذه الأوصاف إلا أنه بشكل عام يمكن تقسيم محتويات السورة إلى عدة أقسام: الجزء الأول الذي يبدأ من آية «قد أفلح المؤمنون» إلى الآيات التالية العدة يعبر عن بعض الصفات التي تبعث الفلاح للمؤمنين وسنرى أن هذه الصفات محسوبة للغاية والشاملة حيث تغطي جوانب مختلفة من الحياة الفردية والاجتماعية (مكارم شيرازي، ١٣٧٤ش، ج ١٤: ١٩٤).

وبما أن أساس كلها هو الإيمان والتوحيد فإنه أشار في الجزء الثاني إلى العلامات اللاهوتية المختلفة والوحي الإلهي والآيات الآفاقية والأنفسية لله في عالم الكون مع ذكر أمثلة من النظام الخلق الرائع والعجيب في السماء والأرض وخلق الإنسان والحيوانات والنباتات؛ كما يشير إلى شرح النعمات والجنات التي خلقها الله للإنسان حتى يصل إلى وصف شجرة الزيتون وثم يبدأ بتصنيف الشجرة وفوائدها الكثيرة وكيفية نموها العجيبة والمتأملة حيث يشير إلى أن الشجرة المليئة بالفوائد للإنسان تنمو بواسطة الماء اليسير الذي أشار به من خلال كلمة الدهن.

أما عبارة «تنبت بالدهن» فجاءت في آية ٢٠ من سورة المؤمنون حيث قال سبحانه وتعالى عن شجرة زيتون وفوائدها الكثيرة للعباد و يقول أن الشجرة أنشأت لاستفادة العباد منها ومن فوائدها. جاءت للعبارة تفاسير مختلفة في التفاسير القرآنية السابقة حتى الآن ونرى أنها تشير إلى أن العبارة إشارةً فيها إلى شجرة زيتون والدهون والصبغ الموجودة فيها حيث اعتبرت «الباء» زائداً أو للتعدية. بناءً على هذا ترجع إشكالية البحث إلى تفسير آخر يبدو أن لم يذكر في التفاسير السابقة حيث يشير إلى أنه يمكن أن نقوم بتفسير العبارة عن شكل آخر فلهذا هل بإمكاننا أن نقدم بتفسير آخر عن العبارة يختلف مع نظيراتها في التفاسير السابقة؟

فتأتي أسئلة البحث الرئيسية على النحو الآتي:

كيف يكون التحليل التأصيلي والمعنوي لعبارة «تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ» في ضوء التفاسير؟

ما نوع الباء في كلمة «بالدُّهن» في «تنبت بالدهن»؟

كيف يمكن تقديم تفسير جديد لعبارة «تَنَبَّثُ بِالدُّهْنِ»؟

بناءً على سبق ذكره، تم استخدام المنهج الوصفي التحليلي في هذا البحث حيث تم بحثه في البداية من الجانب اللغوي والنحوي ثم مطالعتها في التفسير السابقة من حيث الجوانب المختلفة والمعاني المذكورة للعبارة ومن ثم تم ذكر الوجوه الجديدة والمعاني الجديدة للعبارة القرآنية بالاستناد على الأدلة والأمثلة المبرهنة وتقديم ترجمة جديدة عن العبارة بالاستناد على التفسير الجديد للعبارة ومن ثم ذكرت نتائج البحث ومراجعته.

فرضيات البحث

فيما يلي فرضيات البحث على النحو الآتي:

يمكننا أن نقدم بتفسير آخر لهذه العبارة يختلف مع التفسير الأخرى.

يمكن أن يكون معنى الدهن في العبارة هو قَدْرُ ما يَبْلُ الدُّهْنُ وجه الأرض من المطر مع فرض إشارة ضمنية في معنى نقرة في الجبل.

يبدو الباء تكون للآلة أكثر منها أن تكون للزيادة أو التعدية كما ذكروا المفسرون وليست تكون الترجمة بمعنى تنمو الشجرة والدهن فيها بل بمعنى تنمو الشجرة بواسطة الدهن.

خلفية البحث

فيما يتعلق بخلفية البحث علينا بالقول بأنه هناك الكثير من التفسير كُتبت عن هذه العبارة في سياق سورة المؤمنون حيث درسوا المفسرون هذه العبارة وكلهم أشاروا في تفسيرهم إلى المفاهيم المشابهة إلى حد ما إلا أنه يبدو أنه لم تطرق أي من هذه التفسير إلى التفسير الذي نشير إليه في الورقة؛ فكلهم أشاروا إلى أن "تنبت" فعل متعدي بمعنى تنمو والباء المتصل به هو حرف التعدية أو الزائدة كما الدهن في العبارة معناه الزيت وأما معنى العبارة بشكل عام فهو أنّ شجرة الزيتون تنمو والزيت فيها.

على هذا فبصرف النظر عن الأقوال التي جاءت عن العبارة في التفاسير المختلفة، لم يتم العثور على بحث آخر أو بحوث أخرى في هذا المجال وإذا كان هناك أي بحث آخر في هذا الصدد، فإنه لم يتم تناول العبارة من هذا الجانب ولم تشير إلى هذا النوع من التفسير للعبارة.

تثبت بالدهن لغوياً ونحوياً

جاء في كتاب العين عن معنى "نبت" حيث قال: "النَّبْتُ: الحشيش، و النَّبَاتُ فعله، و يجرى مجرى اسمه (الفراهيدي، ١٤٠٩هـ، ج ٨، ١٣٠). مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا، و يفسر كالنبات أي كما أنبتكم فنبتم نباتاً، و ربما رفعوا مصدرًا إلى فعل غيره بعد أن يكون الاشتقاق واحداً، قال: ترى الفتى يَنْبُتُ إنبات الشجر أي كما أنبت الله الشجر، و نحو ذلك قول رؤبة: صحراء لم يَنْبُتْ بها تَنْبِيت (العجاج، ٢٠٠٨م: ٢٥). كما جاء الفعل في جمهرة اللغة هكذا: " و نَبَتَ الشيءُ نَبَاتًا و نَبْتًا و أُنْبِتَهُ الله نَبَاتًا. (ابن دريد، ١٩٨٨م، ج ١: ٢٥٧).

كما جاء في الكتاب: "و قالوا: أُنْبِتَ الْبَقْلُ، في معنى نَبَتَ. و أنكر الأصمعي ذلك و قال: لا أعرف إلَّا نَبَتَ الْبَقْلُ و أُنْبِتَهُ الله نَبَاتًا؛ و كان يطعن في بيت زهير (طويل):

رَأَيْتُ ذَوِي الْحَاجَاتِ حَوْلَ بِيوتِهِمْ قَطِينًا بِهَا حَتَّى إِذَا أُنْبِتَ الْبَقْلُ

(إبي سلمى، ١٩٨٦م: ٦٨).

و يقول: لا يقول عربي أُنْبِتَ في معنى نَبَتَ. (المصدر السابق).

كما جاء في المعاجم فيكون فعل "إنبات" فعل متعدي من باب الإفعال ومنه "إنبات النَّبَات: جَعَلُهُ يَنْبُتُ يَنْمُو، إنبات): اسم (إنبات: مصدر أُنْبِتَ): فعل (أُنْبِتَ يُنْبِتُ، إنباتًا، فهو مُنْبِتٌ، والمفعول مُنْبِتٌ - للمتعدّي (موقع المعاني). فالفعل هنا يعتبر متعدي بنفسه. كما جاء في معنى الدهن في معجم العين وقال الفراهيدي هكذا: الدُّهْنُ: الاسم. و الدَّهْنُ: الفعل المجاوز، و الادَّهَانُ: الفعل اللازم. و ناقة دَهِينٌ: قليلة اللبن حدا يمرى ضرعها فلا يدر قطرة. قال:

لسانك مبرد لا عيب فيه ودُرْكُ دُرٍّ حادبة دَهِين

(الخطيئة، ١٩٩٣م: ١٨٧)

و الدُّهْنُ من المطر: قدر ما يبيل وجه الأرض. و الإِدْهَانُ: اللين و المصانعة. قال الله تعالى: وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ^٢. أي: تلين لهم فيلينون. و المِدَاهِنُ: المصانع الموارب، قال زهير:

و في الحلم إدْهَانٌ و في العفو دربة و في الصدق منجاة من الشر فاصدق

(ابي سلمى، ١٩٨٨م: ٧٢).

و أصل المِدْهَنِ: مِدْهَن، فلما كثر على الألسن ضمومه، مثل المنخل. و كل موضع خفزه سيل، أو ماء واكف في حجر فهو: مُدْهَنٌ. و الدَّهْنَاءُ: موضع كله، وجاء معناها في "مفردات ألفاظ القرآن" للراغب الإصفهاني على النحو الآتي: قال تعالى: تَنْبُتُ بِالدَّهْنِ [المؤمنون/ ٢٠]، و جمع الدَّهْنِ أَدْهَانٌ. و قوله تعالى: فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدَّهَانِ [الرحمن/ ٣٧]، قيل: هو دردي الزيت، و المُدْهَنُ: ما يجعل فيه الدَّهْن، و هو أحد ما جاء على مفعول من الآلة^٣، و قيل للمكان الذي يستقرّ فيه ماء قليل:

مُدْهَنٌ، تشبيهاً بذلك، و من لفظ الدَّهْن استعير الدَّهِينُ للناقة القليلة اللبن، و هي فعيل في معنى فاعل، أي: تعطي بقدر ما تدهن به. و قيل: بمعنى مفعول، كأنه مَدْهُونٌ باللبن. أي: كأنها دُهِنَتْ باللبن لقلته، و الثاني أقرب من حيث لم يدخل فيه الهاء، و دَهَنَ المطر الأرض: بلّها بللاً يسيراً، كاللَّهْن الذي يدهن به الرأس، و دَهَنَهُ بالعصا: كناية عن الضرب على سبيل التّهكّم، كقولهم: مسحته بالسيف، و حيّيته بالرمح (راغب إصفهاني، ١٤١٢هـ: ٣٢١).

^٢ (٣) القلم ٩.^٣ (٣) و قد جمع ابن مالك ما شذّ من اسم الآلة في لاميته فقال:

شذّ المدقّ و مسعط و مكحلة و مدهن منصل و الآتي من نخلا

أى: المنخل.

وجاء عنها في لسان العرب لابن منظور: الدُّهْن: معروف. دَهَنَ رأسه و غيره يَدُهْنُه دَهْنًا: بَلَّه، و الاسم الدُّهْن، و الجمع أَدهان و دِهَان. وفي حديث سَمُرَة: فيخرجون منه كأثما دُهْنوا بالدَّهَان (ابن منظور، ١٤١٤هـ، ج ١٣: ١٦١).

ولهذا نرى أنه جاء نفس المعنى في المعاجم الأخرى تقريباً حيث أشيرت إلى معنى الزيت وقليل من الماء بقدر بلّ الأشياء كما جاء معنى للمُدهن هو نقرة أو حفرة في الأرض وحينما يطر يملؤ من الماء.

تنبت بالدهن لغوياً ونحوياً

اختلف القراء في قراءة "تنبت" فقرأه عامة قراء الأمصار: "تنبت" بفتح التاء بمعنى تنبت هذه الشجرة بثمر الدهن في حين قرأه بعض القراء "تنبت" بضم التاء بمعنى تنبت الدهن، تخرجه؛ فعلى القراءة الأولى يعتبر فعل "تنبت" فعلاً لازماً إلا أنه يعتبر فعلاً معتدٍ على القراءة الثانية. أما عن الباء فقالوا الباء في هذا الموضع زائدة.

جاء في شرح مفصل لابن يعيش عن «تنبت بالدهن»: ومن ذلك قوله تعالى: «تُنْبِتُ بِالدُّهْنِ» والمراد: تنبت الدهن. أرا ترى أنه من «أُنْبِتَ»؟ فالهمزة فيه للنقل، وإذا كانت كذلك، فلا يُجْمَع بينها و بين الباء، فإنه لا يجوز أن يقال: «أَذْهَبْتُ بزيدي»؛ لأن أحدهما يُعني عن الآخر. و قد ذهب قومٌ إلى أنّ الباء هنا ليست زائدة، وأنها في موضع الحال، والمفعول محذوف، والمعنى: تُنْبِتُ ما تُنْبِتُهُ ودُهْنُهُ فيه، كما يقال: «خرج زيدٌ بشيابه»، أي: وثيابه عليه، وركب بسيفه. ومنه قول الشاعر:

وَمُسْتَنِيَّةٌ كَأَسْتَنَانِ الْخَرُورِ فِ قَدْ قَطَعَ الْحَبْلَ بِالْمِرْوَدِ

(الموصللي، ٢٠٠٠م: ٧٨).

يبدو أن تنبت في العبارة فعل مضارع لازم فيما يمكن أن يكون متعدياً بواسطة الباء إذا لم يكن الفعل في باب إفعال وفي هذه الحالة لا يمكن للباء أن تكون للتعدية. الباء في العبارة يمكن أن

تكون للتعددية أو الوساطة أو الآلة أو للزيادة ويمكن للدهن أن يكون مفعولاً أو مجروراً بواسطة الباء وتفسير أخرى جاءت في الكتب التفسيرية كما سنرى.

«تنبت بالدهن» في ضوء التفسير؛ من البداية حتى الآن

أول تفسير جاءت عبارة «تنبت بالدهن» فيه هو تفسير «مقاتل بن سليمان» (توفي: ١٥٠هـ / ٧٦٧م) الذي قال عنها: «ثم قال: وَحَلَقْنَا شَجَرَةً يَعْنِي الزَيْتُونُ وَهُوَ أَوَّلُ زَيْتُونَةٍ خَلَقْتَ تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ يَقُولُ تَنَبَّتْ فِي أَصْلِ الْجَبَلِ الَّذِي كَلَّمَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - عَلَيْهِ مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - تَنَبَّتْ بِالْذَّهْنِ يَعْنِي تَخْرُجُ بِالَّذِي فِيهِ الدَّهْنُ. يَقُولُ هَذِهِ الشَّجَرَةُ تَشْرَبُ الْمَاءَ وَتَخْرُجُ الزَّيْتُ فَجَعَلَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - فِي هَذِهِ الشَّجَرَةِ أَدَمًا وَدَهْنًا وَهِيَ صَبْغٌ لِلْأَكْلَيْنِ» (ابن سليمان، ١٤٢٣هـ، ج ٣، ص ١٥٤).

وبعد مقاتل بن سليمان، وصل دور أبي زكريا يحيى بن زياد الفراء (توفي: ٢٠٧هـ) الذي زاد عن هذا المعنى وذكر: «و قوله: وَ شَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ وَهِيَ شَجَرَةُ الزَيْتُونِ (تَنَبَّتْ بِالْذَّهْنِ) وَ قَرَأَ الْحَسَنُ (تَنَبَّتْ بِالْذَّهْنِ) وَ هُمَا لَغَتَانِ يُقَالُ نَبَتَ وَ أَنْبَتَ كَقَوْلِ زَهْرٍ (الفراء، د.ت، ج ٢، ص: ٢٣٣):

رَأَيْتُ ذَوِي الْحَاجَاتِ حَوْلَ بَيْوتِهِمْ قَطِينًا لَهُمْ حَتَّى إِذَا نَبَتَ الْبَقْلُ

(أبي سلمى، ١٩٨٨م: ص ٨٦).

ونرى الفراء يشير إلى عبارة «تنبت بالدهن» في معرض تفسيره عن آية «وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ... (البقرة/ ٢٠)» حينما يقول: المعنى - والله أعلم - : و لو شاءَ اللَّهُ لأذهبَ سمعَهُمْ. و من شأن العرب أن تقول: أذهبت بصره بالألف إذا أسقطوا الباء. فإذا أظهرها الباء أسقطوا الألف من «أذهبت». و قد قرأ بعض القراء: «يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ» بضم الياء و الباء في الكلام. و قرأ بعضهم: «و شَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنَبَّتْ بِالْذَّهْنِ». فترى - والله أعلم - أن الذين ضموا على معنى الألف شبهوا دخول الباء و خروجها من هذين الحرفين بقولهم: خذ بالخطام، و خذ الخطام، و تعلقت بزيد، و تعلقت زيدا. فهو كثير في الكلام و

الشعر، و لست أستحب ذلك لقلته، و منه قوله: «آتِنَا عَدَاءَنَا» (الكهف / ٦٢) المعنى - و الله أعلم - آتينا بغدائنا فلما أسقطت الباء زادوا ألفا في فعلت (الفراء، د.ت، ج ١، ص ١٩). وبعد الفراء، نرى «ابن قتيبة» (توفي: ٢٧٦هـ) في تفسيره «غريب القرآن» يشير إلى زيادة الباء في «تثبت بالدهن» ويقول: «وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ أَي من يرد فيه إلحادا. و هو الظلم و الميل عن الحق. فزيدت الباء، كما قال: تَنَبَّأَ بِالذَّهْنِ [سورة ال (ابن قتيبة، ص: ٢٤٩): نضرب بالسيف و نرجو بالفرج (الجعدي، ٢٠١٠ م : ٤٨).^٤

كما نرى ابن قتيبة (٢٧٦هـ) في تفسيره «تأويل مشكل القرآن» يقول: والباء تُزاد في الكلام، والمعنى إلقاؤها كقوله سبحانه (تَنَبَّأَ بِالذَّهْنِ) (مؤمنون / ٢٠). ثم أشار ابن قتيبة في معرض قوله عن زائدة الباء وراح يقول: وقال «الأعشى»: «ضَمِنْتُ بِرِزْقِ عِيَالِنَا أَرْمَاحُنَا»^٥ (ابن قتيبة، د.ت: ٢٤٨ و ٢٤٩ و ٢٥٠).

وقال امرؤ القيس: «هَضَرْتُ بِغُصْنٍ ذِي شَمَارِيخٍ مَيَّالٍ» (امرؤ القيس، ٢٠٠٤ م: ١٢٥)^٦. أما جاء في مجاز القرآن عن تفسير العبارة: وقوله: وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورٍ سَيْنَاءَ تَنَبَّأَ بِالذَّهْنِ وَصَبَغَ لِلْأَكْلِيلِ قال شجرة الزيتون و هو مثل لرسول الله (ص) وأمير المؤمنين (ع) وفي رواية أبي الجارود عن أبي جعفر في قوله: وَ أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَاهُ فِي الْأَرْضِ فهي الأنهار و العيون

^٤ - جاء في حاشية ديوان النابغة الجعدي: البيض: السيوف. بالفرج: أى نرجو الفرج، والباء زائدة.

^٥ - مارأيت البيت في ديوان الأعشى وجاء مكانه البيت: ضَمِنْتُ لَنَا أَعْجَازَهُنَّ قُدُورَنَا - وَضُرُوعُهُنَّ لَنَا الصَّرِيخَ الْأَجْرَدَا (الأعشى، د.ت: ٢٣١) و هكذا جاءت في شرحها: ضمنت أعجازها قدورنا أن نفرغ، وضمنت ضروعها لنا الابن خالصاً صافياً وفي بعض الكتب مثل تفسير الطبري: ضمنت برزق عيالنا أرماحنا بين المراحل و الصريح الأجرد

بمعنى: ضمنت رزق عيالنا أرماحنا في قول بعض نحويي البصريين. و أما بعض نحويي الكوفيين فإنه كان يقول: أدخلت الياء فيه، لأن تأويله: و من يرد بأن يلحد فيه بظلم. وكان يقول: دخول الباء في "أن" أسهل منه في "إلحاد" و ما أشبهه، لأن "أن" تضمير الخوافض معها كثيرا و تكون كالشرط، فاحتملت دخول الخافض و خروجه لأن الإعراب لا يتبين فيها، و قال في المصادر: يتبين الرفع و الخفض فيه (جامع البيان في تفسير القرآن، ج ١٧، ص: ١٠٤).

^٦ - البيت جاء في ديوان امرئ القيس ص ١٢٥ حيث قال: فلما تنازعنا الحديث وسمح هصرث بغصن ذي شماريخ مَيَّال وجاء في شرحه: أسمح، لانت وانقادت، هصرت: جذبت. بغصن، هصرت غصناً. أي أملتها إلى كما أميل الغصن اللين.

و الآبار و قوله: «و شَجَرَةٌ تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ» فالطور الجبل و السينااء الشجرة و أما الشجرة التي تَنْبُتُ بِالذُّهْنِ فهي الزيتون.

قال: «و شَجَرَةٌ تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذُّهْنِ وَصَبَغٌ لِأَكْلَيْنِ» (٢٣ / ٢٠)، وقال: «و إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ» (٢ / ٣٠)، و قال: «ما مَعَكَ إِلَّا تَسْجُدَ» (٧ / ١٧)، مجاز هذا أجمع إلقاؤهن. و من مجاز المضمر فيه استغناء عن إظهاره قال: «بِسْمِ اللَّهِ» (٢٧ / ٣٠) (ابن مثنى، ١٣٨١ش: ج ٢: ٤٥).

أما في أحكام القرآن للجصاص فترى: الباء زائدة كقوله تَنْبُتُ بِالذُّهْنِ أى تنبت الدهن (جصاص، ١٤٠٥هـ، ج ٥: ٦٣).

كما نقرأ في إعراب القرآن للزجاج حيث يقول عنها: من ذلك قوله: (تَنْبُتُ بِالذُّهْنِ) أي: تنبت الثمرة بالدهن، فحذف المفعول، فيكون «الباء» حالا (الزجاج، ١٤٢٠هـ، ج ٢: ص ٦٧١).

أما في إعراب القرآن للنحاس فنقرأ هكذا: وَشَجَرَةٌ مَعْطُوفٌ عَلَى جَنَاتٍ [آية: ١٩]، و أجاز الفراء الرفع لأنه لم يظهر الفعل بمعنى «و ثم شجرة» تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ بفتح السين قراءة الكوفيين على وزن فعلاء. قد ذكرنا تنبت وتنبت وقيل: التقدير: تنبت الدهن، والباء زائدة (نحاس، ١٤٢١هـ، ج ٣: ص ٧٩).

ثم نقرأ في التبيان في تفسير القرآن بأن قوله تعالى: «فَأَمَّا قَوْلُهُ «تَنْبُتُ بِالذُّهْنِ»؛ فيجوز أن تكون الباء زائدة، كقوله «و لا تُلقُوا بِأَيْدِيكُمْ» (البقرة: ١٦٥) قال «و أَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ» (النحل: ١٥ / لقمان: ١٠) فعدى (ألقى) مرة بالباء وأخرى بغير باء، و إذا ثبت أن (أنبت) في معنى (نبت) جاز أن تكون الباء للتعدي، كما لو كانت مع (نبت) كان كذلك، و يجوز أن تكون الهمزة في (أنبت) للتعدي، كما لو كانت مع (نبت) كان كذلك، و يجوز أن تكون الهمزة في (أنبت) للتعدي، والمفعول محذوف، والباء للحال، كأنه قال تنبت ثمرة بالدهن، فحذف المفعول و (بالدهن) في موضع حال، كأنه قال تنبت، و فيه دهن، و يجوز في (تنبت)

بالدهن) ان تنبت ما فيه دهن. اخبر الله تعالى انه الذي ينزل من السماء ماء يعني غيثاً ومطراً لمنافع خلقه، من ذلك الماء شراب تشربونه، ومن ذلك نبات الشجر، والشجر ما ينبت من الأرض وقام على ساق وله ورق وجمعه أشجار، ومنه المشاجرة لتداخل بعض الكلام في بعض كتداخل ورق الشجر و قال الازهري: ما نبت من الأرض شجر، قام على ساق أو لم يقم ترعاه الإبل و الأنعام كلها. والانبات إخراج الزرع، و الإنسان يزرع، و الله تعالى ينبت (طوسي، د.ت، ج٦، ص: ٣٦٤). نرى الشيخ طوسي يستمر في معرض قوله عن تنبت بالدهن: «أن قوله «و هُزِّي إِلَيْكَ بِجَذْعِ النَّخْلَةِ» معناه هزي النخلة اليك، ودخلت الباء تأكيداً، كما قال تعالى «تَنْبُتُ بِالذُّهْنِ» (المؤمنون: ٢٠). قال الشاعر: نضرب بالبيض ونرجو بالفرج (الجعدي، ٢٠١٠م: ٤٨): أي نرجو الفرج، و قال آخر:

بواد يمان ينبت السدر صدره و أسفله بالمرخ و الشبهان

(الإصفهاني، ١٩٧١م، ج ١١: ١٥٣).

و في رواية ينبت الشث حوله (طوسي، د.ت، ج٧، ص: ٣٠٦). ثم جاء: ومن ضم التاء من «تنبت» لم يعده بالباء، و أراد تنبت الدهن. قال ابو علي الفارسي: و يحتمل أن يكون الباء متعلقا بغير هذا الفعل الظاهر، و تقدر مفعولا محذوفاً، و تقديره: تنبت ثمرها و فيها دهن و صبغ. و من فتح التاء عدى الفعل بالباء. كقولهم: ذهب بزيد و أذهبت زيدا، و يجوز أن يكون الباء في موضع الحال، و لا يكون للتعدي. مثل ما قلناه في الوجه الأول و تقديره تنبت و فيها دهن. و الشجرة قيل انها شجرة الزيتون. و قوله «تَنْبُتُ بِالذُّهْنِ» أي تنبت ثمرها بالدهن. و من فتح التاء فمعناه تنبت بثمر الدهن وقيل الباء زائدة، و المعنى تنبت ثمر الدهن (نفس المصدر، ج٧: ٣٥٨).

ثم جاء دور مجمع البيان في تفسير القرآن حيث قال عنها: «تَنْبُتُ بِالذُّهْنِ» أي تنبت ودهنها فيها، والجارّ و المحرور في موضع الحال (طبرسي، ١٣٧٧ش، ج ٢: ٣٩١).

ثم جاء في نفس التفسير: «وَشَجَرَةً» عطف على «جَنَاتٍ». وقرئ: «سَيْنَاء» بكسر السين وفتحها، فمن كسر فإمّا يمنع الصّرف للتعريف و العجمة، أو التّأنيث لأنّها بقعة، لأنّ فعلاء بكسر الفاء لا يكون ألفه للتّأنيث كألف صحراء. و«طُورِ سَيْنَاء» و«طُورِ سَيْنَيْن» لا يخلو إمّا أن يكون مضافا إلى بقعة اسمها سينا أو سينون، وإمّا أن يكون اسما للجبل مركّبا من مضاف ومضاف إليه كامرئ القيس. «بِالدُّهْنِ»: في موضع الحال، أي تنبت وفيها الدهن. وقرئ: «تنبت» و فيه وجهان: أحدهما أن يكون أنبت بمعنى: نبت كما في بيت زهير:

رَأَيْتُ ذَوِي الْحَاجَاتِ حَوْلَ بَيْوتِهِمْ قَطِينَا لَهُمْ حَتَّى إِذَا أَنْبَتَ الْبَقْلُ

(ابي سلمى، ١٩٨٦م: ٦٨).

والآخر أن يكون مفعوله محذوف، والمعنى: تنبت زيتونها وفيه الزيت (طبرسي، ١٣٧٧ش، ج٣: ٦٧ و ٦٨).

كما قال ميدي في تفسيره الموسوم بـ«كشف الأسرار و عدة الأبرار» (١٣٧١ش): «وَوَ شَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاء» أنشأنا شجرة تخرج من الصخر ومن الجبل المبارك، «تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ» بمعنى يخرج وفيها الزيت (ميدي، ١٣٧١ش، ج٦: ٤٢٦).

وجاء دور الزمخشري في «الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل» (١٤٠٧ش) حيث يقول: «قرأ الأعمش: سينا على القصر بِالدُّهْنِ في موضع الحال، أي: تنبت وفيها الدهن. وقرئ: تنبت. و فيه و جهان، أحدهما: أن أنبت بمعنى نبت (الزمخشري، ١٤٠٧ش، ج٣: ١٨٠). و الثاني: أنّ مفعوله محذوف، أي: تنبت زيتونها وفيه الزيت. وقرئ: تنبت، بضم التاء وفتح الباء، وحكمه حكم تنبت. وقرأ ابن مسعود: تخرج الدهن وصبغ الآكلين. و غيره: خرج بالدهن: و في حرف أبي: تثمر بالدهن. وعن بعضهم: تنبت بالدهان. وقرأ الأعمش. وصبغا وقرئ وصباغ. و نحوهما: دبغ و دباغ. و الصبغ: الغمس للالتئام. و قيل: هي أول شجرة تنبت بعد الطوفان، و وصفها الله تعالى بالبركة في قوله يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ (نفس المصدر، ١٨١).

كما جاء في « إيجاز البيان عن معاني القرآن » للنيشابوري: تَنْبُثُ بِالذَّهْنِ: تَنْبَتُ مَا تَنْبَتَ وَ الدَّهْنُ فِيهَا (هذا المعنى على قراءة «تنبت» بضم التاء وهي لابن كثير، وأبي عمر). وذكر ابن درستويه (٢٥٨ - ٣٤٧ هـ): أَنَّ الدَّهْنَ: الْمَطَرُ اللَّيْنُ^٧ وَفَتْحُ التَّاءِ فَمَعْنَاهُ: تَنْبَتَ وَفِيهَا دَهْنٌ، تقول: جاء زيد بالسَّيْفِ، أي: سيفه معه «٦» (نیشابوري، ١٤١٥هـ، ج ٢: ص ٥٨٧).

ثمَّ جاء في «تفسير نسفي» لنسفي بأنَّه: تَنْبُثُ بِالذَّهْنِ وَ صَبِغٌ لِلْأَكْلَيْنِ أي ينمو ومعه الزيت الكثير وصبغ للأكلين (نسفي، ١٣٦٧ش: ج ٢: ٦٤٦).

وبعده جاء دور الرازي حيث قال في «روض الجنان و روح الجنان في تفسير القرآن» (١٤٠٨ق): قوله تعالى: تَنْبُثُ بِالذَّهْنِ، قرأه أكثر القراء بفتح «التاء الأولى» وضم التاء الثانية، من نبت ينبت. و«الباء» على هذه القراءات تكون للتعدية، ثم قال: هذا الجبل ينبت الزيت أي ينمو شيئاً فيه الزيت وهو الزيتون وقرأ ابن كثير وابوعمرى على النحو التالي: تَنْبَتَ بضم «التاء» و كسر «الباء»، من الإنبات. ثم له معنيين: أحدهما أَنَّ الباء زائدة يعني تَنْبَتَ الدَّهْنُ كما قالوا: اخذت ثوبه و اخذت بثوبه، و بطشته و بطشت به، والوجه الثاني هو أَنَّ "نبت" و "أنبت" تكونا لغتين في معنى واحد. وهناك وجه آخر محتمل، وهو أَنَّ «الباء» كان بمعنى «مع»، أي تَنْبَتَ مَا تَنْبَتَهُ وَمَعَهُ الدَّهْنُ، وَصَبِغٌ لِلْأَكْلَيْنِ، أي أدام، وَيَسْمُونُ أدام صبغاً لأنَّه يصبغ الخبز منه (رازي، ١٤٠٨ق، ج ١٤: ١٥).

أما عن الباء فقال أخفش وأبو عبيدة: «الباء» للزيادة، كما نرى في قول الحارث بن حلزة حيث يقول:

قبل ما اليوم بيضت بعيون الناس فيها تغيظ و اباء

(ابن حلزة، ١٩٩١م: ٢٥).

^٧ - ابن درستويه هو الشخص الوحيد بين المفسرين الذي أشار إلى معنى المطر للدَّهْنِ حيث ذكر للكلمة "المطر اللين" وقال: يكون دخول الباء تصحيحاً للكلام إلا أنه مآربناه في أي من كتبه بل قوله هذا المذكور في تفسير الماوردي: ٤ / ٥٠، و تفسير القرطبي: ١٣ / ١١٥. ومآربنا على المزيد من التفاصيل عن رأي الماوردي لا في كتبه ولا في عمل آخر.

أراد بيضت عيون الناس. قال الكسائي والفراء: جاء بـ«الباء» لأنه يضمن معنى النفي أو استفهام حيث قال: أَوْ لَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ، والعرب أتى بـ«الباء» في خبر «ما» وليس مؤكدة للنفي، كما في ما زيد بقائم وليس زيد بمنطلق (المصدر السابق، ج ١٧: ص ٢٨٣).

أما قال ابن الجوزي في «زاد المسير في علم التفسير» عن الباء في العبارة: الباء زائدة، كقول تعالى: تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ، وهذا قول جمهور اللغويين. قال ابن قتيبة: والباء قد تزداد في الكلام، كهذه الآية، وكقوله تعالى: اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ (علق/١) وَ هُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ (مریم/٢٥) وغيرها من الآيات (ابن جوزي، ١٤٢٢ق، ج ٣: ٢٣١).

وماذكر ابن الجوزي عن العبارة "تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ" شيئاً جديداً. بعده نرى أن الرازي في «مفاتيح الغيب» يذكر عن الآية ويقول: فَانْتَبَذْتُ بِهِ أَيِ اعْتَزَلْتُ وهو في بطنها كقوله: تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ [المؤمنون: ٢٠] أي تنبت و الدهن فيها (الرازي، ١٤٢٠ق، ج ٢١: ص ٥٢٤).

أما قوله تعالى: تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ فهو في موضع الحال أي تنبت وفيها الدهن، كما يقال ركب الأمير بجنده، أي ومعه الجند وقرئ تنبت و فيه وجهان: أحدهما: أن أنبت بمعنى نبت والثاني: أن مفعوله محذوف، أي تنبت زيتونها و فيه الزيت، (المصدر السابق، ج ٢٣: ٢٦٩). كما قال الرازي عن "الباء" في تنبت بالدهن وقال أنه يكون للزيادة (نفس المصدر، ج ٢٨: ١٣٩).

أما العكبري فهو المفسر الآخر الذي يقول في «التبيان في اعراب القرآن» (د.ت): تَنْبُتُ: يقرأ بضم التاء وكسر الباء. و فيه وجهان: أحدهما - هو متعد، والمفعول محذوف، تقديره: تنبت ثمرها أو جناها والباء على هذا حال من المحذوف أي وفيه الدهن كقولك: خرج زيد بشيابه. وقيل: الباء زائدة، فلا حذف إذا بل المفعول الدهن. والوجه الثاني - هو لازم، يقال: نبت البقل، وأنبت بمعنى فعلى هذا الباء حال، وقيل: هي مفعول أي تنبت بسبب الدهن (العكبري، د.ت: ٢٧٤).

أما الحلبي فقال في « سعد السعود للنفوس منضود » (د.ت): أما المثال الذي ذكره في قوله جل جلاله تَنْبُثُ بِالذُّهْنِ فيقال له لو قيل لك إنها لو كانت زائدة لكان المراد كما زعمت أنها تنبت الدهن ومن المعلوم أن الدهن لا يسمى نباتا حتى يقال تنبت الدهن وإنما المانع أن يكون الباء في قوله تعالى بِالذُّهْنِ أن يكون في موضع لام فتكون على معنى تنبت للدهن (حلي، د.ت: ١٩٥).

وقال القرطبي في تفسيره «الجامع لأحكام القرآن» (١٣٦٤ش): «فيه ست مسائل: الأولى- قوله تعالى: (وَ- شَجَرَةً) شجرة عطف على جنات. يريد بها شجرة الزيتون. وأفردها بالذكر لعظيم منافعتها في أرض الشام و- الحجاز و- غيرها من البلاد، و- قلة تعاهدها بالسقي و- الحفر و- غير ذلك من المراعاة في سائر الأشجار. (تَخْرُجُ) في موضع الصفة. (مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ) أي أنبتها الله في الأصل من هذا الجبل الذي بارك الله فيه. و- طور سيناء من أرض الشام وقوله تعالى: (تَنْبُثُ بِالذُّهْنِ) قرأ الجمهور "تَنْبُثُ" بفتح التاء وضم الباء، و- التقدير: تنبت و- معها الدهن، كما تقول: خرج زيد بسلاحه. وقرأ ابن كثير و- أبو عمرو بضم ء التاء و- كسر الباء. و- اختلف في التقدير على هذه القراءة، فقال أبو على الفارسي: التقدير تنبت جناها و- معه الدهن، فالمفعول محذوف. و- قيل: الباء زائدة، مثل: "وَ- لَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ [البقرة: ١٩٥]" و- هذا مذهب أبي عبيدة. وقيل: نبت و- أنبت بمعنى، فيكون المعنى كما مضى في قراءة الجمهور، و- هو مذهب الفراء و- أبي إسحاق، و- منه قول زهير: حتى إذا أنبت البقل و- الأصمعي ينكر أنبت، وقرأ الزهري و- الحسن و- الأعرج: "تنبت بالدهن" برفع التاء و- نصب الباء. قال ابن جني و- الزجاج: هي باء الحال، أي تنبت و- معها دهنها. وفي قراءة ابن مسعود: "تخرج بالدهن" وهى باء الحال. ابن درستويه: الدهن الماء اللين، تنبت من الإنبات. وقرأ زر بن حبیش: "تنبت- بضم التاء و- كسر الباء- الدهن" بحذف الباء و- نصبه. وقرأ سليمان بن عبد الملك و- الأشهب: "بالدهان". و- المراد من الآية تعديد نعمة الزيت على الإنسان، وهى من أركان النعم التي لا غنى بالصحة عنها. و-

يدخل في معنى الزيتون شجر الزيت كله على اختلافه بحسب الأقطار. الثالثة - قوله تعالى: (وَ صَبْغٍ لِلْأَكْلَيْنِ) قراءة الجمهور. و - قرأت فرقة: "و - أصباغ" بالجمع. و قرأ عامر بن عبد قيس: "و - متاعاً"، و - يراد به الزيت الذي يصطبغ به الأكل، يقال: صبغ و - صباغ، مثل دبغ و - دباغ، و - لبس و - لباس. وكل إدام يؤتدم به فهو صبغ، حكاه الهروي وغيره. واصل الصبغ ما يلون به الثوب، و - شبه الإدام به لان الخبز يلون بالصبغ إذا غمس فيه. و - قال مقاتل: الأدم الزيتون، و - الدهن الزيت. و قد جعل الله تعالى في هذه الشجرة أدما و - دهنا، فالصبغ على هذا الزيتون (القرطي، ١٣٦٤ش، ج ١٣: ١١٦).

وقال الشيباني في « نهج البيان عن كشف معاني القرآن »: قوله - تعالى - : تَنَبُّثٌ بِالدُّهْنِ [أي: تنبت الدهن] «٤» و «الباء» صلة (الشيباني، ١٤١٣ق، ج ٤، ص ١٠). وفي « البحر المحيط في التفسير » (١٤٢٠ق) جاء: و قرأ الجمهور تَنَبُّثٌ بفتح التاء وضم الباء و الباء في الدُّهْنِ على هذا باء الحال أي تَنَبُّثٌ مصحوبة بالدُّهْنِ أي و معها الدهن (اندلسي، ١٤٢٠ق، ج ٧: ٥٥٦).

وجاء في تفسير « أنوار التنزيل و أسرار التأويل » للبيضاوي حيث قال: تَنَبُّثٌ بِالدُّهْنِ أي تنبت ملتبسا بالدهن ومستصحبا له، ويجوز أن تكون الباء صلة معدية ل تَنَبُّثٌ كما في قولك: ذهبت بزيد أو على تقدير تَنَبُّثٌ زيتونها ملتبسا بالدهن، وقرئ على البناء للمفعول وهو كالأول وتثمر بالدهن وتخرج بالدهن وتخرج الدهن وتنبت بالدهان. وَ صَبْغٍ لِلْأَكْلَيْنِ معطوف على الدهن جار على إعرابه عطف أحد وصفي الشيء على الآخر أي: تنبت بالشيء الجامع بين كونه دهنا يدهن به و يسرج منه و كونه إداما يصبغ فيه الخبز أي: يغمس فيه للائتدام (بيضاوي، ١٤١٨ق، ج ٣: ٨٥).

ثم قال الغرناطي في تفسيره « كتاب التسهيل لعلوم التنزيل » (١٤١٦): تَنَبُّثٌ بِالدُّهْنِ يعني الزيت، و قرئ تنبت بفتح التاء، فالجورور على هذا في موضع الحال. كقولك جاء زيد بسلاحه، و قرأ ابن كثير و أبو عمرو: تنبت بضم التاء و كسر الباء، و فيه ثلاثة أوجه: الأول أن أنبت

بمعنى نبت، و الثاني حذف المفعول تقديره تنبت ثمرتها بالدهن و الثالث زيادة الباء وَ صَبَغٍ لِلْأَكْلَيْنِ الصبغ الغمس في الإدام فِي الْأَنْعَامِ هي الإبل و البقر و الغنم و المقصود بالذكر الإبل، لقوله: وعليها وعلى الفلك تحملون وقد تقدم في [النحل: ٨٠] ذكر المنافع التي فيها وتذكيرها وتأنيثها(الغرناطي، ١٤١٦ق، ج ٢: ص ٥٠).

والبغدادي في « لباب التأويل في معاني التنزيل »(١٤١٥هـ): تَنْبُتُ بِالذُّهْنِ أي تنبت و فيها الدهن وقيل تنبت بثمر الدهن وهو الزيت وَصَبَغٍ لِلْأَكْلَيْنِ الصبغ الإدام الذي يكون مع الخبز و يصبغ به جعل الله في هذه الشجرة المباركة أدما وهو الزيتون ودهنا وهو الزيت وخصّ جبل الطور بالزيتون لأنه منه نشأ وقيل إن أول شجرة نبتت بعد الطوفان الزيتون وقيل إنها تبقى في الأرض نحو ثلاثة آلاف سنة(بغدادي، ١٤١٥ق، ج ٣: ٢٧١).

نرى في « تفسير غرائب القرآن و رغائب الفرقان » هكذا جاء عن العبارة: وذكر الجرجاني المفاهيم السابقة في تفسيره «جلاء الأذهان و جلاء الأحزان»(١٣٧٧ش) وجاء: وقال مقاتل: هذا الجبل (طور) يعتبر أول جبل نمت الزيتون فيه (جرجاني، ١٣٧٧ش: ج ٦: ٢٤٠).

كما جاء في «، التبيان في تفسير غريب القرآن » (١٤٢٣هـ): تَنْبُتُ، الإنبات: هو الإخراج لما من شأنه النمو(ابن هائم، ١٤٢٣هـ، : ص ٧٧). تَنْبُتُ بِالذُّهْنِ: بضم التاء، أي تنبت ما تنبته بالدهن كأنه- و الله أعلم- يخرج ثمرها و معه الدهن، و قال قوم: الباء الزائدة يعني أنها تنبت الدهن، أي ما يعصر فيكون دهنا. و من قرأ تنبت بفتح التاء و ضم الباء، « فتأويله: كأنها تنبت و معها الدهن، لا أنها تغدّى بالدهن(المصدر السابق، : ٢٤١).

أما في « كنز العرفان في فقه القرآن » (١٤١٩هـ) والذي يعتبر آخر تفسير أشار إلى هذا الأمر، فنقرأ «وَأَرْجُلُكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ» قرأ نافع وابن عامر والكسائي وحفص بالنصب عطفا على محلّ برؤوسكم، إذ الجارّ والمجرور محلّه النّصب على المفعوليّة كقولهم: مررت بزيد وعمروا. وقرئ: «تنبت بالدهن و صبغا للأكلين» (فاضل، ١٤١٩هـ، ج ١: ١٤).

باء الآلة أو الاستعانة

قد ذكر ابن هشام في كتابه مغني اللبيب عن كتب الأعاريب أن حرف (الباء) في اللغة يفيد أربعة عشر معنى وذكر لمعظمها شاهداً من القرآن الكريم منها باء الاستعانة، حيث قال: «الثالث: الاستعانة، وهي الداخلة على آلة الفعل، نحو «كتبْتُ بالقلم» و«نحَرْتُ بالقدم» قيل: ومنه البسملة؛ لأن الفعل لا يتأتى على الوجه الأكمل إلا بها» (الأنصاري، ١٩٦٤م، ج ١: ١٠٨).

وجاء في هذا المعنى: "ثم إنَّ الباء من البسملة قى اختلفوا فيها، فقليل للاستعانة ويقال لها باء الآلة لأنها تدخل على آلة، قيل وجعلها كذلك في مثل هذ المقام غير اللائق لما فيه من سوء الأدب وجعل اسم الله آلة ويجب عند باب الآلة لها جهتان: الأولى هو التوقف عليها، بحيث لا يتنال غرض علي كماله إلا بها، وهذه الجهة صحيحة هنا؛ فإن باسم الله عزوجل تُنال الأغراض وبه تمامها، ولاشك أن الاستعانة به تعالى فيما هو داخل في العبادة مشروعة" (سكريع، د.ت: ٥٨).

بناءً على هذا بإمكاننا أن نعتبر الباء في عبارة "تنبت بالدهن" باء الاستعانة أو باء الآلة بمعنى أنه تنمو شجرة الزيتون باستعانة الدهن أي بالمطر القليل واليسير وهذا يعتبر من خواص الزيتون حيث أنه ينبت الشجرة كثيرة الفوائد باستعانة الماء القليل الذي جاء من المطر اللين الذي يبُل وجه الأرض فقط ففي هذا المعنى كثير من المفاهيم الجميلة والفوائد البلاغية الكثيرة. كما يشير إلى طبيعة الزيتون التي ينمو في ظروف صعبة والأماكن الوعرة.

الدهن بمعنى "قدر ما يبل وجه الأرض"

كما ذكر في الصحف السابقة فجاءت معانٍ مختلفة عن كلمة «الدهن» في التفاسير القرآنية ومعظمها ذكرت معنى «الزيت» لها حيث قال مفسرو اللغة أن الدهن يكون بمعنى الزيت وهو يعود إلى الشجرة الزيتون التي ينبتها الله بالدهن أي والدهن فيها إلا أنه بالنظر إلى الكلمة نستطيع أن نذكر المعنى الآخر للكلمة التي لم نجد لها عند المفسرين في كتبهم حتى الآن وهو

أن الدَّهْن قديكون في الآية بمعنى " قدرُ ما يَبُلُّ وَجَهَ الأرض " كما جاء المعنى في المعاجم ونراه في لسان العرب: " الدَّهْن من المطر: قدرُ ما يَبُلُّ وَجَهَ الأرض، و الجمع دِهَان. و دَهْن المطرُ الأرض: بَلَّها بَلًّا يسيراً. الليث: الأدَّهَان الأمطار اللَّيْنَةُ، واحداها دُهْن. أبو زيد: الدَّهَان الأمطار الضعيفة " (ابن منظور، ١٤١٤ق، ج ١٣: ص ١٦١). وجاء نفس المعنى في قاموس المحيط حيث قال: " الدَّهْنُ، و يُضْمُّ، قدرُ ما يَبُلُّ وَجَهَ الأرض من المطر - ج: دِهَانٌ. و قد دَهَنَ المطرُ الأرض " (فيروزآبادي، ١٤١٥ق، ج ٤: ٢١٤).

كما جاء نفس المعنى في المعاجم الأخرى وذكرها المعاجم بمعنى قدرُ ما يَبُلُّ وَجَهَ الأرض من المطر^٨ و " المَدَّهْنُ " من هذا المعنى يدلّ على " نَقْرَةٌ في الجبل يَسْتَنْقِعُ فيها الماء " (الجوهري، ١٣٧٦ق، ج ٤: ٢١١٥). فبناءً على هذا المعنى يمكن أن يكون معنى كلمة الدَّهْن في عبارة " تنبت بالدهن " الماء اليسير والقليل أو في المعنى الأفضل هو قدرُ ما يَبُلُّ وَجَهَ الأرض من المطر حيث يقول الله سبحانه وتعالى في الآية " تَنْبُتُ بالدهن " أي ينمى بالماء القليل الذي يَبُلُّ الأرض من المطر فيقصد بهذا المعنى أن شجرة الزيتون ينمى بالماء اليسير وبإمكانها أن يُنمى بقدرُ ما يَبُلُّ وَجَهَ الأرض من المطر وهذا من خواص الزيتون.

لهذا ففي كلمة الدَّهْن إلى جانب القليل من الماء الذي يَبُلُّ وَجَهَ الأرض يوجد معنى الماء الذي يجمعه المطر في حفرات الجبل حيث أشار سبحانه وتعالى إلى هذا الجبل أي جبل طور في الآية لذلك لا يمكن ألا يوجد اتصال بين ذكر جبل طور وذكر كلمة الدهن الذي فيه معنى مستنقع الماء.

الأسباب العلمية

بالرجوع إلى الأسباب العلمية لهذه القضية نرى أنها تدعم الإدعاء التي ذكرناها في النصوص السابقة أي نمو الزيتون بالماء اليسير والمكان الصعب حيث لا يوجد غير المطر ماء للري. ويُعدّ

^٨ - للمثال ينظر: خليل بن أحمد الفراهيدي في كتاب العين، ١٤٠٩، ج ٤، ص ٢٧ و محمد بن حسن ابن دريد، ١٩٨٨م، في جبهة اللغة، ج ٢، ص ٦٧٨ واسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح، ١٣٧٦ق، ج ٥، ص ٢١١٥.

شجر الزيتون من الأشجار التي تتحمل الجفاف، ولن يؤثر جفاف التربة على نموها، ويجب عند القيام بسقيتها ألا يبقى أي من الماء دون تصريف، إذ يجب أن تُزرع الشجرة في تربة ذات تصريف جيد للمياه، وإلا فإن التربة المشبعة بالماء ستؤدي إلى موت أشجار الزيتون (الرقطي، ٢٠١٩م: <https://mawdoo3.com>).

كما تعتبر كمية الأمطار وتوزعها السنوية من أهم العوامل المحددة لزراعة الزيتون حيث تعتبر /٣٠٠ - ٤٥٠/ مم سنوياً الكمية اللازمة لنجاح زراعة الزيتون (الشرييني، د.ت: ١). تتحمل أشجار الزيتون العطش وجفاف الجو وارتفاع درجة الحرارة، ويرجع ذلك إلى طبيعة تركيب الأوراق الذي يقلل من فقد الماء بالنتح، إلا أن معدل النمو والمحصول يقلل معدل امتصاص الماء ومعدل نمو الأشجار ويتأثر المحصول، لذلك يجب توفير مياه الري بالتربة بالقدر الكافي مابين السعة الحقلية ونقطة اللزبول للحصول علي إنتاج اقتصادي كما ونوعاً(نفس المصدر: ٣٧). كما أجمع معظم العلماء على أن الموطن الأصلي لشجرة الزيتون هو منطقة الشرق الاوسط، ويرجع تاريخ زراعتها في مصر إلي عهد الفراعنة (١٨٠٠ سنة قبل الميلاد)(نفس المصدر: ٤٣). تتحمل أشجار الزيتون العطش وجفاف الجو وارتفاع درجة الحرارة، ويرجع ذلك إلى طبيعة تركيب الأوراق الذي يقلل من فقد الماء بالنتح.

ترجمة العبارة في ضوء التفسير الجديد

فبناءً على ما سبق من الكلام نستطيع أن نقول بأنه هناك للعبارة «تنبت بالدهن» معنى آخر ماذكر في الكتب والتفسير السابقة. كل ما ذكر في الكتب السابقة عن ترجمة هذه العبارة هو أن شجرة الزيتون تنبت والدهن فيها أي جاءت كلمة الدهن بمعنى الزيت في العبارة وأشيرت بالدهن إلى زيت الزيتون إلا أنه على المعنى الجديد أي الدهن بمعنى المطر اليسير فيكون هكذا أنه تنمو شجرة الزيتون بالماء اليسير بمقدار يبل الأرض ويشير الله بهذا المعنى إلى ميزات وخصائص فريدة لشجرة الزيتون التي لم أشارت إليها في الآية وبما أن زيت الزيتون هو الميزة

الصریحة لها لذلك يبدو أنّ هناك حاجة في ذكرها بهذا المعنى الجديد أُشيرت إلى المفاهيم الدقيقة.

فبناءً على هذا المعنى يكون فعل « تنبت » فعلاً لازماً بمعنى ينمو والباء فيه هو للاستعانة والدهن بمعنى قليل من المطر والماء التي تجمع بعد المطر حيث يريد الله أن يقول بأنّه من الميزات العجيبة لشجرة الزيتون التي تكون لها الخصائص والفوائد الكثيرة للإنسان هي أنّ الشجرة تتحمل العطش وجفاف الجو وارتفاع درجة الحرارة، ويرجع ذلك إلى طبيعة تركيب الأوراق الذي يقلل من فقد الماء بالنتح فيستنتج من الآية أنّ الله القادر القدير المقتدر ينمو شجرة كشجرة الزيتون والفوائد الكثيرة فيها في الظروف الصعبة لأن تنفع الإنسان بفوائدها الكثيرة.

يؤكد ترتيب الآية هذا الرأي أيضاً حيث يبدأ الله الذكر في المطر في الآية ١٨ ويصل إلى شجرة الزيتون شيئاً فشيئاً بحيث أنّ الله في الآية لبيان النعم التي منحها للإنسان، يبدأ بالحديث عن المطر حتى يصل إلى إنبات شجرة الزيتون وكيفية إنبائها العجيبة ويبين بهذا المعنى أنّه كيف أنبت الشجرة - التي لها فوائد كثيرة - للاستخدام البشري في ظروف قاسية و بكمية قليلة من الماء وبهذا المعنى تُعتبر شجرة الزيتون من إحدى الجوانب الخارقة في خلق الله. فبناءً على هذا المعنى يقول الله سبحانه تعالى: أنزلنا من السماء ماءً واسكنناه في الأرض (إشارة إلى المدهن: مستنقع الماء وكل موضع حفره المطر) ويمكننا تدميرها وأنشأنا بهذا الماء حدائق من أشجار النخيل والأعناب تحتوي على الكثير من الفواكهة وتناولوا منها كلما يريدون كما أنشأنا بهذا الماء شجرة الزيتون في جبل صخري صعب المرتقى بقليل من الماء وفيها صبغ للآكلين؛ فلهذا نرى أنّ الدهن بمعنى (القليل من الماء الذي يبل وجه الأرض) يلائم مع العبارات السابقة وبعبارة أخرى يعتبر مكملاً لتلك العبارات لأنّه في هذه الآية والآيات السابقة قد تمت الإشارة إلى النعم وقوة الله في خلق هذه النعم؛ قوة قادرة على إنبات شجرة بهذه الميزات الكبيرة والكثيرة مع النعم والفوائد الكثيرة ببساطة ماء قليل للإنسان، الشجرة التي تكون فيها فوائد كثيرة ويمكن استخدام ثمرها للأغراض الطبية والأكل وأشار بكلمة الصبغ بهذا المعنى.

نتائج البحث

بدراسة عبارة «تنبت بالدهن» من منطلق اللغة والنحو والتفسير توصلنا إلى استنتاج مفاده أنه يمكن تقديم تفسير جديد عن العبارة يختلف عما وُرد في التفسير السابقة. يمكن أن يحسب للكلمة «الدهن» في العبارة معنى يبدو لم تذكره التفسير والدراسات السابقة في هذا المجال وهي بمعنى المطر القليل أو قَدُر ما يُبَلُّ وجه الأرض من المطر ويبدو أن المعنى تجاهل في الدراسات والتفسير السابقة في حين بإمكاننا أن نعتبره جزء من العبارة بهذا المعنى حيث أنه يمكن لشجرة الزيتون التي لها كثيرٌ من الفوائد بأن تنمو من ماء المطر والماء القليل ويعتبر هذا من أحد عجائب الشجرة التي أشار إليها الله في هذه العبارة وغض المفسرون طرفهم عنها.

وفقاً للتفسير الجديد يختلف نوع الباء التي ذكرت في العبارة أي «تنبت بالدهن» مع ما ذكره المفسرون في السابق فيبدو أن الباء تكون للاستعانة بدلاً للتعدية والزائدة التي أشار معظم المفسرين بها في تفسيرهم السابقة بمعنى شجرة الزيتون تنمو بواسطة الماء القليل والمطر اليسير الذي يبل وجه الأرض وهذه الخصيصة تعتبر من العجائب في هذه الشجرة تجاهلها المفسرون السابقة كما يبدو حيث أنّ الله سبحانه و تعالى قدوفر كل هذه النعم الكثيرة في شجرة كشجرة زيتون يمكن لها أن تنمو بواسطة قليل من الماء وبقدر مطر يبل وجه الأرض كما يمكن لها تحمل الجفاف وهذا المعنى يعتبر من دقائق المعاني.

المصادر والمراجع

الكتب العربية

أندلسي، ابو حيان محمد بن يوسف، (١٤٢٠ق)، البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقي محمد جميل، الطبعة الأولى، بيروت، دار الفكر، د.ط، ١٤٢٠ق.
الأنصاري، جمال الدين ابن هشام (١٩٦٤م)، مغني اللبيب عن كتب الأعراب، حققه وخرج شواهد: مازن المارك، محمد علي حمد الله وسعيد الأفغاني، الطبعة الأولى، دمشق، دارالفكر.

الإصفهاني، أبي الفرج (١٩٧١)، الأغاني، شرحه وكتب هوامشه: سمير جابر، الجزء الحادي والعشرون، الطبعة الأولى، بيروت، دارالكتب العلمية.

الاعلم الشنتمري (١٣٢٣ق) شرح ديوان زهير بن أبي سلمى المُنزني، الطبعة لاولى، القاهرة: المطبعة الحميدية.

ابن جوزي، ابوالفرج عبدالرحمن بن علي (١٤٢٢ق)، زاد المسير في علم التفسير، د.ط، بيروت، دار الكتاب العربي.

ابن حلزة، الحارث (١٩٩١)، ديوان الحارث بن حلزة، جمعه وحققه وشرحه: اميل بديع يعقوب، الطبعة الأولى، بيروت، دارالكتاب العربي.

ابن العجاج، رؤبة (د.ت)، مجمع أشعار العرب وهو مشتمل على ديوان رؤبة بن العجاج، اعتنى بتصحيحه وترتيبه: وليم بن الوري البروسي، الطبعة الأولى، الكويت، دار ابن قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع.

ابن قتيبة عبدالله بن مسلم (د.ت)، تأويل مشكل القرآن، د.ط، د.م.

----- (١٩٧٣)، تأويل مشكل القرآن، شرحه و نشره: السيد احمد صقر، د.م، د.ط.

----- (د.ت)، غريب القرآن ابن قتيبة، د.م، دون مكان طبع.

ابن هائم شهاب الدين احمد بن محمد (١٤٢٣ق)، التبيان في تفسير غريب القرآن، د.ط، بيروت، دار الغرب الإسلامي.

بلخي، مقاتل بن سليمان (١٤٢٣ق)، تفسير مقاتل بن سليمان، بيروت، دار إحياء التراث.

بغدادى، علاء الدين على بن محمد (١٤١٥ق)، لباب التأويل في معاني التنزيل، تحقيق: تصحيح محمد على شاهين، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية.

البيضاوى، عبدالله بن عمر (١٤١٨ق)، أنوار التنزيل و أسرار التأويل، بيروت، دار احياء التراث العربى.
جرجاني ابو المحاسن حسين بن حسن (١٣٧٧ش)، جلاء الأذهان و جلاء الأحزان، الطبعة الأولى، طهران، انتشارات دانشگاه تهران.

الجعدي، نابغة (٢٠١٠م)، ديوان النابغة الجعدي، جمعه وحققه وشرحه: الدكتور واضح الصمد، بيروت، دار صادر.

الحلى، سيد على بن طاووس (د.ت)، سعد السعود للنفوس منصود، قم، محمد كاظم الكتبي.

الرازي، ابو عبدالله محمد بن عمر فخرالدين (١٤٢٠ق)، مفاتيح الغيب، بيروت، دار احياء التراث العربى.

- الرازي، ابوالفتوح حسين بن علي (١٤٠٨ق)، **روض الجنان و روح الجنان في تفسير القرآن**، مشهد، بنياد پژوهشهای اسلامی آستان قدس رضوی.
- الزجاج، ابراهيم بن سري بن سهل (١٢٢٠ق)، **اعراب القرآن**، تحقيق: ابراهيم ايباري، الطبعة الرابعة، قاهره وبيروت، دارالكتاب المصري و دارالكتب اللبناني.
- زنجشيري، محمود (١٤٠٧هـ)، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، بيروت، دار الكتاب العربي.
- سكريح، أحمد بن العياشي (١٩٤٤م)، **شراب أهل الاختصاص من بحرالبسملة بين الخواص**، تحقيق: نجاة الصباحي، بيروت، كتاب ناشرون.
- شيباني محمد بن حسن (١٤١٣ق)، **نهج البيان عن كشف معاني القرآن**، طهران، بنياد دايرة المعارف اسلامي.
- طوسي محمد بن حسن (د.ت)، **البيان في تفسير القرآن**، تحقيق: با مقدمه شيخ آغابزرگ تهراني و تحقيق احمد قصيرعامللي، بيروت، دار احياء التراث العربي.
- عكبري، عبدالله بن حسين (د.ت)، **البيان في اعراب القرآن**، رياض، بيت الأفكار الدولية.
- غرناطي، محمد بن احمد ابن جزى (١٤١٦ق)، **كتاب التسهيل لعلوم التنزيل**، تحقيق: عبدالله الخالدي، الطبعة الأولى، بيروت، شركة دار الارقم بن ابي الارقم.
- فاضل، مقداد جمال الدين مقداد بن عبدالله (١٤١٩ق)، **كنز العرفان في فقه القرآن**، قم، مجمع جهاني تقريب مذاهب اسلامي.
- الفراء، ابوزكريا يحيى بن زياد (د.ت)، **معاني القرآن**، تحقيق: احمد يوسف نجاتي / محمد علي نجار / عبدالفتاح اسماعيل شلبي، الطبعة الأولى، القاهرة، دارالمصريه للتأليف و الترجمة.
- فراء، ابوزكريا يحيى بن زياد (د.ت)، **معاني القرآن**، القاهرة، دارالمصريه للتأليف و الترجمة.
- قرطبي، محمد بن احمد (٣٦٤ش)، **الجامع لأحكام القرآن**، طهران، انتشارات ناصر خسرو.
- الماوردي، أبوالحسن (د.ت)، **النكت والعيون تفسير الماورري**، راجعه وعلّق عليه: السيد بن عبدالمقصود بن عبد الرحيم، بيروت: دارالكتب العلمية.
- المزني، زهير ابن ابي سلمى، (١٩٨٨م)، **ديوان زهير بن ابي سلمى**، شرح و تقديم: علي حسن فاعور، الطبعة الاولى، بيروت، دارالكتب العلمية.

الموصلی، موفق الدين ابي البقاء يعيش بن علي بن يعيش (٢٠٠١)، شرح المفصل للزمخشري، قدم له و وضع هوامشه وفهارسه اميل بديع يعقوب، الجزء الخامس، الطبعة الاولى، بيروت، منشورات محمد علي بيضون.

نحاس ابو جعفر احمد بن محمد (١٤٢١ق)، اعراب القرآن، الطبعة الأولى، بيروت، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية.

نیشابوری، ابو اسحاق احمد بن ابراهيم ثعلبي (١٤٢٢ق)، الكشف و البيان عن تفسير القرآن، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

نیشابوری، محمود بن ابو الحسن (١٤١٥ق)، إيجاز البيان عن معاني القرآن، بيروت، دار الغرب الاسلامي. نیشابوری، نظام الدين حسن بن محمد (١٤١٦ق)، تفسير غرائب القرآن و رغائب الفرقان، تحقيق: شيخ زكريا عميرات، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية.

الكتب الفارسية

سور آبادی ابوبکر عتيق بن محمد (١٣٨٠ش)، تفسير سور آبادی، تحقيق: علي اكبر سعیدی سیرجانی، چاپ اول، طهران، فرهنگ نشر نو.

میبدی، رشیدالدین احمد بن ابی سعد (١٣٧١ش)، كشف الأسرار و عدة الأبرار، تحقيق: علي اصغر حکمت، چاپ پنجم، طهران، انتشارات امیر کبیر.

نسفی، ابوحفص نجم الدين محمد (١٣٧٦ش)، تفسير نسفی، طهران، انتشارات سروش.

المواقع الإلكترونية

الرقطي، دينا (١٣٩٨ش)، «كم تحتاج شجرة الزيتون من الماء»، <https://mawdoo3.com>

الشرييني، حسام (١٣٩٨ش)، «موسوعة زراعة

الزيتون»-<https://www.dopdfwn.com/cacnoscana/scanoanya/alkottob-com-pdf-0RKRT77.pdf>

المعاني (١٣٩٨ش)، «ترجمة إنبات في معجم المعاني»،

<https://www.almaany.com/ar/dict/ar-/ar/%D8%AF%D9%87%D9%86>